بعدي لكان الامر على غير ذلك" . والظاهر ان الاسف على الماضي والخوف من المستقبل كانا كالسوس في عظامهِ فتجرَّع غصص المنون ست سنوات متواليات ولما لم ترَ همتهُ منصرفاً تنصرف فيهِ بقيت في نفسهِ توَّنبهُ وتعذبهُ . ولو اتيح لهُ ان يعمل عملاً ما لانفرج همهُ واطمأنت نفسهُ ولقد كان رجل العمل والجد لا يكلُّ ولا يملُّ ورأى ان يسلي نفسهُ و يصرف قوى عقلهِ وجسدهِ في شيء ما لئلا تنصرف في توبيخهِ كالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكلهُ فاشتغل بتعلم اللغة الانكليزية ليقرأ صحف الاخبار و بالاملاء على كتَّابهِ و بذكر مساوىء حرَّاسهِ الاَّ ان هذه الامور كانت كالنتات الذي يقتات بهِ الغني بعد ما يفتقر . ولا مثيل للحالة التي كان فيها لان الملوك الذين خُلعوا مثلهُ قضي عليهم حالاً . وقد حاول هو ان ينجو من تلك الحياة المرَّة فلم يتيسَّر لهُ ذلك لا بالقتل في حومة الوغى ولا بالانتحار . وكانت انكلترا تود ان الفرنسويين يقتلونهُ شنقاً او رمياً بالرصاص لتتخلَّص من عار قتلهِ فلم يفعلوا ولذلك اتحدت مع اوربا على تضييق خناقهِ حينما رأت قوتهُ اعظم من ان يحتملها سلام العالم

باب تدبير المنزل

قد فحصنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

بعض عوائد الزواج

قال احد العلماء ان الزواج انعم الحالات التي يتقلب المرء عليها في هذه الحياة وآمنها ولا ريب انهُ اقدمها . وقال احد علماء الالمان لم يمرَّ على نوع الانسان زمنٌ الاَّ كان للزواج فيهِ شأن كبير . فان الانسان المتوحش معروف بشدة ميلهِ الى الزواج فهو يتزوج باكرًا وقد يتزوج مرارًا . ومن الناس من يحسب العزوبة عارًا فإما ان يتزوج العزب او ينبذ من قومهِ . وعندهم ان من ينبذ من قومهِ في هذه الدنيا ينبذ في الآخرة ايضاً . فاهل فيجي يعتقدون مثلاً ان من يموت عزباً يلاقيهِ الاله نتجا نتجا وهو ذاهب الى الفردوس و يضربهُ بمطرقتهِ حتى يموت ثانية وكلما مات وقصد الفردوس جرى لهُ مثلما جرى المرة الاولى الى ما لا نهاية لهُ . والعزب عند الكفرة

من سكان جنوبي افريقية مرذول لا قول لهُ ولا كلمة ولو اشتعل رأسهُ شيباً . وبعض القبائل يحلقون رأس العزب ولا يسمحون لهُ باطلاق شعرهِ كأنهُ مجرمٌ . والعزباء عندهم اندر من الكبريت الاحمر . والهنود ينزلون الاعزب منزلة الاحمق والابله

وكان الفتى عند بعض المتوحشين اذا ترعرع ورام الزواج تأبط هراوتهُ وخرج يطلب عروساً لهُ حتى اذا أصاب اول فتاة ضربها بهراوتهِ على رأسها وجرّها الى بيتهِ بقدميها كأنهُ يجرُّ صيداً حتى كان الفتيات ينفرن من الزواج ويختبئن في منازلهن خشية ان يعاملن بمثل تلك المعاملة الوحشية . وعليهِ ذهب بعض الفلاسفة الى ان حياء البنات على ما هو مشهور ناشئ عن هذه العادة التي جرى الانسان قديماً عليها

ويسام الخطّاب في كثير من القبائل الهمجية الوان العذاب قبل ان يحظوا بالفتاة التي يرومون التزوج منها . فاذا طلب اثنان فتاة واشكل عليها وعلى اهلها اختيار افضلهما عمدوا الى الطريقة الآتية للفصل في الامر . وهي انهم يربطون سكيناً في كلٍّ من زندي الفتاة ويجلسونها بين طالبيها فتضع راسي السكينين على فخذيهما وتنحني الى الامام حتى تدخل السكينان فيهما فمن كان منهما اشدّ احتمالاً لالم الجراح حظي بها . واول عمل تعملهُ بعد الزواج انها تضمد الجراحات التي كانت سببها

ولفتيات مدغسكر طريقة اخرى في اختيار الزوج وهي ان يؤتى برجل ماهر في رشق الحراب ويوقف الطالب على مسافة منهُ فيأخذ رامي الحراب سيفي رشق حرابهِ ويؤمر الطالب بتلقيها بين ذراعهِ وجنبهِ . فاذا بدا عليهِ الخرف والوجل أو أفلتت حربة من يدهِ نُبذ نَبذ النواة والاّ فاذا ثبت ثبات الشجاع ولم يدع حربة تفلت منهُ اختارتهُ الفتاة زوجاً لها

ومهر الفتاة يختلف باختلاف القبائل والبطون التي تنتمي اليها . فمهرها في اوغندا ثلاثة ثيران وست ابر للخياطة . ومهرها بين بعض قبائل الهنود سلتان مملوآتان ارزاً وربية من النقود المتداولة . وفي ساموى توارب وخنازير وغيرها من ممتلكات العريس . وفي فيجي سنّ فيل او بندقية قديمة

وكثير من القبائل الهمجية حريصة على نسبها تغار على حفظهِ فالبشمن من سكان افريقية لا يزوجون ولا يتزوجون من غير قبائلهم وكذلك الهوتنتوت . وتعدد الازواج والزوجات شائع في جميع جهات المسكونة ولكنهُ الشذوذ والزواج الافرادي القاعدة

وعوائد الاعراس تختلف كثيراً على ما هو معلوم ومن اغربها ان عقد الزواج لا يحسب كاملاً بين بعض قبائل البرازيل حتى يشرب الضيوف ويسكروا ويبيتوا وهم لا يستطيعون

حراكاً ولا نهوضاً . وعند غيرهم انهُ اذا اكل الفتى والفتاة الذرة من قصعة واحدة تحتم زواجهما وبعض الناس يربطون العروسين معاً ويصبون عليهما ماء بارداً

ماري كورلّي

وسرّ نجاحها

ليس بين المولعين بقراءة الروايات احد يجهل اسم "ماري كورلّي" فان شهرتها في رواياتها طبقت الآفاق فأقبل الناس على مشتراها وقراءتها اقبال الجياع على القصاع . وآخر رواية اصدرتها قصة غرامية عنوانها "رجل الله" ارادت بهِ كاهناً عمرهُ اربعون سنة رأى فتاة عمرها ٢٧ فنفر منها حين رآها ثم جعل حبها يأخذ بمجامع قلبهِ الى ان كلف بها حتى اذا كانت ذات يوم في الصيد سقطت سقطة كادت تودي بها فاغمي عليها ولما استفاقت رأت محبها بجانبها ففاتحها بالزواج فلم تجبهُ املاً بل تزوجت بهِ بعد شفائها مما المَّ بها

وقد انتقد المستر ستد صاحب مجلة المجلات الانكليزية هذه الرواية او قراظها تحت عنوان "ما هو السرّ في نجاح ماري كورلّي" فقال ان اقبال الناس على روايتها الاخيرة لا علاقة لهُ بمحاسن الرواية سواء كان ذلك في عنوانها او في ما تحويهِ بل ان سببهُ كون الرواية من قلم ماري كورلّي لاغير . ولم يكن بدٌّ من اقبال الناس على مشترى رواياتها مهما سئمتها ومهما ضجرتها لانها اكتسبت رضى قرائها من قبلُ ولا يزالون راعين عهد ودّها مخلصين الولاء لها

ومن غريب أمر مؤلفي الروايات في انكلترا ان اشهرهم بين جمهور الامة مجهولون في الدوائر العلمية الادبية وبين اهالي الطبقة العليا ومع ذلك فان قراء رواياتهم يعدون بمئات الالوف على حين ان المعروفين في الدوائر العليا يغبطون انفسهم اذا وجدوا عشرة آلاف نفس يقرأون رواياتهم . خذ مثالاً لذلك جورج مريديث فان نسبة رواج رواياتهِ الى رواج روايات ماري كورلي كنسبة واحد الى عشرة وذلك لان ماري كورلي تعرف ما يريد الجمهور فتقدمهُ اليهِ على ما يشاء من السرعة . وليس في كتابتها للروايات ولا في سرد وقائعها شيء من الابتكار فان رواياتها بسيطة ولكنها تصيب الغرض الذي وضعت لهُ ولا تخطئهُ . وهي ليست بائعة تصورات وافكار ولا ناشرة حقائق جديدة بل محدثة تقصُّ عليك قصة بسيطة كأنها تصدّقها وتعطف على ابطال رواياتها وتجعل قراءها يعطفون عليهم . وزد على ذلك كلهِ انها تثق كلَّ الثقة بنفسها ولعلَّ هذا هو السرّ الاعظم في ثقة كثيرين بها